خطبة عن الحسد



د. عطية بن عبدالله الباحوث

مقالات متعلقة

تاريخ الإضافة: 1/1/2019 ميلادي - 23/4/1440 هجري

خطبة عن الحسد

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب.

الحمد لله الذي جعل الليل والنهار خِلْفةً ليذَّكَّر أولو الألباب.

نحمده تبارك وتعالى على كل ما منح أو سلب، ونعوذ بنور وجهه الكريم من العناء والنصَب.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وإليه المنقلب، يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، ويقلب الأبصار والقلوب.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، سيد الأولين والآخرين من حاضر وباد، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه الأخيار، وبعد:

المعصية الأولى:

ما من إنسان إلا أُعطي من الخير وسُلب منه شيء من النعم، فكان تحت أنظار من يعيش معهم، فناظر بعين الغِبطة وناظر بعين الحسد؛ يقول ابن رجب: (الحسد مركوز في طباع البشر، وهو أن الإنسان يكره أن يفوقَه أحدٌ من جنسه في شيء من الفضائل).

فالحسد إذًا قضية ملازمة للخلق ما تحرَّك فيهم طرَفٌ؛ يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (ما كانت نعمة الله على أحدٍ إلا وجَد لها حاسدًا، فلو كان الرجل أقومَ مِن القدح لَمَا عدم غامزًا)، وكما قيل: (لا يخلو جسد من حسد، لكن الكريم يُخفيه واللئيم يُبديه)، ليس هذا فقط، بل القضية الأولى في سُلَّم المعاصي كانت معصية الحسد، فأول معصية عُصِي بها الله في السماء من قِبَل أخبثِ الخلق معصية إبليس؛ قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: 34].

قال قتادة بن دعامة رحمه الله: (حسَد عدوُّ اللهِ إبليسُ آدمَ عليه السلام على ما أعطاه الله من الكرامة، وقال: أنا ناريٌّ، وهذا طِينيٌّ).

♦ كما أن أول معصية أرضية كانت حسد قابيل أخاه هابيل، لقبول الله طاعته، فقتَله بغيًا وحسدًا؛ قال تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: 27].

♦ فالحسد توافق بين شياطين الجن والإنس؛ لإسقاط الفضل على مَن تفضَّل الله عليه بنعمه ورحمته، وليس لهم في ذلك إلا الخسران.

مراتب الناس في الحسد:

وفي سُلَّم الحسد يتفاوت الناس من عاص فيه آثم، ومن طائع فيه مأجور، ويترقى الإنسان في هذا، حتى يصل إلى الكبيرة إثمًا، وإلى الإيمان طاعة، وقد بيَّن ابن رجب مراتب الناس في الحسد، فقال:

1- فمنهم من يسعى في زوال نعمة المحسود بالبغي عليه بالقول والفعل، ويسعى في نقل ذلك إلى نفسه وهو مذموم.

2- ومنهم من يسعى في إزالته عن المحسود فقط من غير نقل إلى نفسه، وهو شرهما وأخبثهما، وهذا هو الحسد المذموم المنهي عنه، وهو ذنب إبليس؛ حيث حسد آدم.

3- ومنهم من إذا حسد لم يتمنَّ زوال نعمة المحسود، بل يسعى في اكتساب مثل فضائله، ويتمنى أن يكون مثله في أمور الآخرة، وفي الصحيحين من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لا حسدَ إلا في اثنتيْنِ: رجلٌ آتاه اللهُ مالًا، فسلَّطَه على هَلَكَتِه في الحقِّ، وآخرُ آتاه اللهُ حكمةً، فهو يَقضي بها ويُعلِّمُها))، وهذا هو الغبطة.

4- وقسم آخر إذا وجد من نفسه الحسد سعى في إزالته، وفي الإحسان إلى المحسود بإسداء الإحسان إليه، والدعاء، ونشر فضائله، وفي إزالة ما وجد له في نفسه من الحسد؛ حتى يُبْدله بمحبة أن يكون أخوه المسلم خيرًا منه، وأفضل، وهذا من أعلى درجات الإيمان)، بتصرُّف من جامع العلوم والحكم.

- قال معاوية رضي الله عنه: "كل الناس أقدرُ على رضاه إلا حاسد نعمة، فإنه لا يرضيه إلا زوالها".

عظيم ضرر الحسد المذموم:

واعلَم أن ضرر الحسد المنهي عنه أمرٌ يطول شرحه، ولكن يختصر أمره في عبارات وإشارات؛ منها:

أولًا: قال أبو حاتم: (الواجب على العاقل مجانبة الحسد على الأحوال كلِّها، فإنَّ أهون خصال الحسد هو ترك الرضا بالقضاء، وإرادة ضد ما حكم الله جل وعلا لعباده).

فهو معترض على القضاء والقسمة والحظ من الله لعباده، وهذا قدح بيِّنٌ في عقيدة المؤمن، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يجتمعانِ في قلبِ عبدٍ الإيمانُ والحسدُ)؛ حسنه الألباني في صحيح النسائي.

ثانيًا: الحاسد مُضيع متلف رأس ماله في الدنيا والآخرة، ففي حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (دبَّ إليكم داءُ الأُممِ قبلكم: الحسدُ والبغضاءُ، هي الحالقةُ، لا أقولُ: تحلِقُ الشَّعرَ، ولكن تحلِقُ الدِّينَ، والذي نفسي بيده، لا تدخلوا الجنَّةَ حتى تُؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا، أفلا أُنبِّئُكم بما يُثبتُ ذلك لكم، أَفشوا السلامَ بينكم)؛ رواه الترمذي بإسناد حسن.

ثالثًا: فيه مخالفة لهدي وأمر النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال: (لا تباغَضوا، ولا تحاسَدوا، ولا تدابَروا، وكونوا عباد الله إخوانًا، ولا يحلُّ لمسلمٍ أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ)؛ البخاري ومسلم؛ قال الإمام ابن عبدالبر رحمه الله: تضمَّن الحديث تحريم بُغْض المسلم والإعراض عنه، وقطيعته بعد صحبته بغير ذنبٍ شرعي، والحسَد له على ما أنعم به عليه.

رابعًا: قال الله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: 109].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: (يُحذِّر تعالى عبادَه المؤمنين عن سلوك طريق الكفار من أهل الكتاب، ويعلِمهم بعداوتهم لهم في الباطن والظاهر، وما هم مشتملون عليه من الحسَد للمؤمنين، مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم).

وهذا الفقيه أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى يوجز لنا عقوبات الحاسد، فيقول: (يصلُ إلى الحاسد خمسُ عقوباتٍ قبلَ أنْ يَصِلَ حَسَدُهُ إلى المحسودِ، أولاها: غَمٌّ لا يَنْقَطِعُ، وثانيها: مُصِيبةٌ لا يُؤجر عليها، وثالثها: مَذَمَّةٌ لا يُحْمَدُ عليها، ورابعها: سُخْطُ الرَّب جلَّ وعلا، وخامسها: يُغْلَقُ عنهُ بابُ التوفيقِ).

- اللهم نقِّ قلوبنا من الغل والحسد، واجعَل لنا قلبًا تقيًّا وعملًا زكيًّا، ولسانًا مستغفرًا نقيًّا، فاستغفروا الله إن الله كان غفورًا رحيمًا.

الخطبة الثانية

الحمد لله ذي الفضل والإنعام على الجميع، نحمده تبارك وتعالى، ونشكره على النعم؛ كي لا تضيع، ونسأله الثبات على الإيمان والدين، والصلاة والسلام على أكرم المرسلين وسيد الناس أجمعين.

اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه الأشراف، ومَن تبِعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

- فما من داء إلا جعل الله له دواءً، فإنْ وُصِف الداء بدقة كان للدواء عظيمُ الأثر بإذن ممن خلَق الداء والدواء، وقد تكلم العلماء في علاج الحسد المنهي عنه، ويجمع ذلك أمورٌ هي إرشاد لكل حاسد ابتُلي بهذا الداء:

أولًا: نحن لا نعلم العطاء أو المنع خير للعبد أم هو شر له؛ كما قال الحسن البصري رحمه الله: (يا بن آدم، لا تحسد أخاك؛ فإن كان الذي أعطاه الله لكرامته عليه، فلا تَحسُدْ مَن أكرمه الله تعالى، وإن كان لغير ذلك، فلِمَ تحسُد مَن مصيره إلى النار).

ثانيًا: حامل الحسد يحمل بين جنبيه نارًا قد تكون مطيَّته إلى النار الآخرة، فكان لا بد من إطفاء نار الدنيا للسلامة من نار الآخرة؛ قال أبو حاتم: (الحسد من أخلاق اللئام، وتركُه من أفعال الكرام، ولكلِّ حريقٌ مطفئ، ونار الحسد لا تُطفَأ).

ثالثًا: الحاسد لا ينال الخيرية المشهود لها من خير البرية صلى الله عليه وسلم، فقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الناس أفضل؟ قال: (كل مخموم القلب، صدوق اللسان)، قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخمومُ القلب؟ قال: (هو التقيُّ النقيُّ، لا إثمَ فيه، ولا بغيَ، ولا غِلَّ، ولا حسد)؛ صححه الألباني في صحيح ابن ماجه.

رابعًا: خبث نفس الحاسد؛ قال ابن القيم في زاد المعاد عن الحسد: (وهو أصل الإصابة بالعين؛ فإن النفس الخبيثة الحاسدة تتكيف بكيفيةٍ خبيثةٍ، وتقابل المحسود فتؤثِّر فيه بتلك الخاصية)، ولذا من الرقية الشرعية التعوذ بالله من الحاسد؛ كما قال تعالى: ﴿ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ [الفلق: 5].

الدعاء:

- ((أعوذُ بكلماتِ اللهِ التاماتِ التي لا يجاوزهنَّ بَرٌّ ولا فاجرٌ، وبأسماءِ اللهِ الحسنَى ما علمتُ منها وما لم أعلمْ - من شرِّ ما خلقَ وذرَأَ وبرَأَ، ومن شرِّ ما ينزلُ من السماءِ، ومن شرِّ ما يعرُجُ فيها، ومن شرِّ ما ذرأَ في الأرضِ، ومن شرِّ ما يخرجُ منها، ومن شرِّ فتَنِ الليلِ والنهارِ، ومن شرِّ

طوارقِ الليلِ، إلّا طارقًا يطرقُ بخيرٍ يا رحمنُ)).

- اللهم تقبَّل توبتنا واغسل حوبتنا، وأجِب دعوتنا، وثبِّت حُجتنا، واهدِ قلوبنا وسدِّد ألسنتنا، واسْلُلْ سَخيمة قلوبنا.

- اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك، والسلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر، والفوز بالجنة والنجاة من النار.

يا حي يا قيُّوم، برحمتك نستغيث، اللهم أصلِح لنا شأننا كله، ولا تكِلنا إلى أنفسنا طرفةَ عينٍ ولا أقل من ذلك.

- اللهم نسألك من الخير كله عاجله وآجله، ما علِمنا منه ومالم نعلم، ونعوذ بك من الشر كلِّه عاجله وآجله، ما علِمنا منه ومالم نعلم.

- اللهم اجعل جمعَنا هذا جمعًا مباركًا مرحومًا، وتفرُّقنا من كل شر معصومًا، ربنا لا تدَع لنا ذنبًا إلا غفرته، ولا همًّا إلا فرَّجته، ولا مريضًا إلا شفيته، ولا ميتًا إلا رحمته، ولا طالبًا أمرًا من أمور الخير إلا سهَّلته له ويسَّرته.

- اللهم إنا نسألك لولاة أمورنا الصلاحَ والسداد، اللهم كن لهم عونًا، وخُذ بأيديهم إلى الحق والصواب والسداد والرشاد، ووفِّقهم للعمل لما فيه رضاك وما فيه صالح العباد والبلاد.

- اللهم انصُر من نصر الدين واخذل كلَّ مَن خذل المسلمين.

اللهم انظُر إلينا بعين رحمتك، وأدِمْ علينا سوابغَ نعمتك.

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [البقرة: 201].

- سبحان ربِّنا رب العزَّة عما يصِفون، وسلامٌ على المرسلين، وآخرُ دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.
